

الإسلام من وجهة نظر غربية: جون إسبوزيتو أنموذجاً

Islam from a Western Perspective: John Esposito as a Model

أ. أميمة بونخلة: باحثة في الدراسات الإسلامية، جامعة الحسن الثاني، المغرب.

Oumaima Bounakhla: Researcher in Islamic Studies, Hassan II University, Morocco.

Email: bounakhla.2012@gmail.com

DOI: <https://doi.org/10.56989/benkj.v5i5.1455>

المخلص:

يسعى هذا البحث إلى تحليل الإسهامات الأكاديمية للدكتور جون ل. إسبوزيتو في مجال الدراسات الإسلامية الغربية، مركّزاً على جهوده في تقديم صورة متوازنة وموضوعية عن الإسلام والمسلمين في السياق الغربي، خاصة بعد أحداث الحادي عشر من سبتمبر. يبرز البحث المكانة الفكرية البارزة التي يتمتع بها إسبوزيتو في الحقل الأكاديمي، من خلال مؤلفاته التي تناولت قضايا متشابكة كالعلاقة بين الدين والسياسة، وتعدد الحركات الإسلامية، وواقع الإسلاموفوبيا، والحوار بين الأديان. وقد مكّنه مساره المهني من تجاوز السرديات الاستشراقية التقليدية، وذلك عبر مقاربات علمية تروم دحض الصور النمطية، وبناء فهم أعمق للتجربة الإسلامية الحديثة. كما تميزت كتاباته بمحاولة توسيع دائرة الوعي الغربي بحقيقة الإسلام من منظور علمي، وبالسعي لردم الهوة بين الشرق والغرب على أساس معرفي وحواري. ويرتكز البحث على تحليل خطابه الأكاديمي من خلال قراءة نقدية لعدد من مؤلفاته المرجعية، مع ربطها بالسياقات السياسية والجيوستراتيجية التي أسهمت في بلورة تصوراتها. كما يستحضر نماذج من الدراسات السابقة التي قاربت جهوده، موضحةً أثرها في الأوساط البحثية وصنع القرار في الغرب. وتُستخلص من ذلك أهمية النموذج الذي يمثله إسبوزيتو في تقديم قراءة أكثر عدلاً للإسلام، ودوره في تشكيل ملامح خطاب بديل داخل فضاء أكاديمي معقد ومشحون بالأحكام المسبقة.

الكلمات المفتاحية: جون ل. إسبوزيتو، الدراسات الإسلامية الغربية، الإسلاموفوبيا، الصور النمطية، الحوار بين الأديان.

Abstract:

This study aims to analyze the academic contributions of Dr. John L. Esposito in the field of Western Islamic studies, focusing on his efforts to present a balanced and objective image of Islam and Muslims within the Western context, especially after the events of September 11. The research highlights Esposito's prominent intellectual standing in the academic sphere through his works addressing complex issues such as the relationship between religion and politics, the diversity of Islamic movements, the reality of Islamophobia, and interfaith dialogue. His academic trajectory enabled him to transcend traditional Orientalist narratives through scholarly approaches that seek to challenge stereotypes and build a deeper understanding of the modern Islamic experience. His writings are distinguished by an attempt to expand Western awareness of the true nature of Islam from a scientific perspective, and by his efforts to bridge the gap between East and West on the basis of knowledge and dialogue. The study relies on a critical analysis of his major works, linking them to the political and geostrategic contexts that have shaped his views. It also draws on previous studies that have examined his contributions, highlighting their impact on research communities and decision-making in the West. From this, the importance of the model represented by Esposito is derived — one that offers a fairer reading of Islam and contributes to shaping an alternative discourse within a complex academic environment charged with prejudice.

Keywords: John L. Esposito, Western Islamic studies, Islamophobia, stereotypes, interfaith dialogue.

مقدمة الدراسة ومنهجها:

يُعد جون إسبوزيتو شخصية محورية وذات تأثير بالغ في الأوساط الأكاديمية الغربية المتخصصة في حقل الدراسات الإسلامية، متمتعاً بمسيرة مهنية مديدة وحافلة بالإنجازات. يشغل إسبوزيتو منصب الأستاذية في الدراسات الدينية والشؤون الدولية والإسلامية بجامعة جورجتاون في واشنطن العاصمة، كما يضطلع بدور المؤسس والمدير الأول لمركز الأمير الوليد بن طلال للتقاهم الإسلامي المسيحي. تتجلى الأهمية القصوى لفهم وجهة نظره في سياق التفاعل المعقد بين الغرب والإسلام، لا سيما في الحقبة التي أعقبت أحداث الحادي عشر من سبتمبر.

تزامنت مسيرة إسبوزيتو المهنية المديدة مع الاهتمام المتزايد الذي حظيت به الدراسات الإسلامية، لا سيما في أعقاب الثورة الإيرانية وأحداث الحادي عشر من سبتمبر، ليشكلاً معاً عاملاً محورياً في صعود مكانته الأكاديمية المرموقة. ففي بواكير مسيرته العلمية، كان يُنظر إلى حقل الدراسات الإسلامية على أنه تخصص ذو نطاق محدود، بيد أن الثورة الإيرانية أفرزت طلباً ملحوظاً على الخبرات المتخصصة في هذا المجال، مما أسهم في بروز قانات علمية مثل إسبوزيتو. وعلاوة على ذلك، فقد ضاعفت أحداث الحادي عشر من سبتمبر من هذا الاحتياج، الأمر الذي عزز من موقعه كصوت رائد ومؤثر في هذا المضمار. ويشير تأسيسه لمركز التقاهم الإسلامي المسيحي إلى توجه منهجي نحو تعزيز الحوار بين الأديان وتوطيد أواصر التقاهم المتبادل، وهو ما من شأنه أن يلقي بظلاله على منهجه الأكاديمي. فمن شأن إنشاء مثل هذا المركز أن يعكس التزاماً راسخاً ببناء جسور التواصل وتعزيز العلاقات الإيجابية بين المجتمعات الدينية المختلفة، مما يوحي بأن أعماله قد تركز على استجلاء أوجه التشابه المشتركة وتهدف إلى دحض المفاهيم المغلوطة.

انكب إسبوزيتو على تأليف أعمال أكاديمية رائدة تناولت مختلف أوجه الإسلام، حيث نشر كتاب "الإسلام والسياسة" عام 1984، محللاً العلاقة الجدلية بين الدين والسياسة في المجتمعات الإسلامية، قبل أن يقدم في كتاب "الإسلام: الطريق المستقيم" (1988) مدخلاً شاملاً إلى العقيدة والممارسات الإسلامية. حرر "موسوعة أكسفورد للعالم الإسلامي الحديث" عام 1995، مقدِّماً عملاً مرجعياً واسع النطاق حول المجتمعات الإسلامية المعاصرة. واصل جهوده البحثية عبر كتاب "الإسلام السياسي: التطرف، الثورة أم الإصلاح" (1997)، حيث استعرض تنوع الحركات الإسلامية وأهدافها، ثم أصدر "التهديد الإسلامي: أسطورة أم واقع؟" (1999) الذي انتقد فيه الصور النمطية السائدة في الغرب حول الإسلام. تطرق في "صناع الإسلام المعاصر" (2001) إلى أبرز المفكرين الإسلاميين، قبل أن يتناول في "حرب مقدسة: إرهاب باسم الإسلام" (2002) قضية العنف المتطرف الذي تتبناه بعض الجماعات. لم يقتصر جهده على التحليل الأكاديمي، بل

عمل على تبسيط المعرفة من خلال كتاب "ماذا يحتاج الجميع أن يعرفوه عن الإسلام" (2002)، والذي حاول فيه تصحيح المفاهيم الخاطئة المنتشرة بين الجمهور الغربي.

أسهم إسبوزيتو بشكل بارز في تحرير قواميس وموسوعات مرجعية كـ "قاموس أكسفورد للإسلام" (2003) و "تاريخ أكسفورد للإسلام" (2004)، ما يؤكد مكانته كمصدر موثوق في الدراسات الإسلامية. تابع مساره البحثي بإصدار "من يتحدث باسم الإسلام؟ ما الذي يفكر فيه حقًا مليار مسلم" (2008) بالتعاون مع داليا مجاهد، حيث اعتمد على بيانات إحصائية دقيقة لاستجلاء تنوع آراء المسلمين عالميًا، ثم اختتم جهوده البحثية في العقد الماضي بكتاب "مستقبل الإسلام" (2010)، الذي ناقش المسارات المحتملة للإسلام في القرن الحادي والعشرين. لم تقتصر اهتماماته على الدين فقط، بل تناول في كتاب "الإسلاموفوبيا: تحدي التعددية في القرن الحادي والعشرين" (2011) قضية تصاعد العداء للإسلام في المجتمعات الغربية.

لقد شكّلت أعمال جون إسبوزيتو مرجعًا مهمًا في مقارنة العلاقة بين الإسلام والغرب، لما انشمت به من اتزان علمي ونزعة تفكيكية للصور النمطية السائدة في الخطاب الغربي. وفي هذا السياق، لم يكن حضور إسبوزيتو محصورًا في إنتاجه الفردي، بل أضى نموذجًا مرجعيًا تبناه عدد من الباحثين في دراساتهم الأكاديمية، سعيًا لتقديم خطاب بديل يتجاوز الأحكام المسبقة ويؤسس لفهم متبادل. وهكذا يظهر أن تأثير إسبوزيتو لم يقتصر على تقديم خطاب بديل، بل ساهم أيضًا في خلق تيار بحثي يسعى إلى مساءلة المسلمات الغربية وإعادة بناء التصورات المتبادلة على أسس معرفية وإنسانية مشتركة.

استطاعت أعمال إسبوزيتو تشكيل جزء أساسي من الخطاب الأكاديمي حول الإسلام في الغرب، حيث حملت رؤيته بعدًا تحليليًا ونقديًا يسعى لتجاوز الانطباعات السطحية. ميزت كتبه بين الإسلام كدين وبين الظواهر السياسية التي يتم توظيفه فيها، مقدمًا قراءة متوازنة تتحدى السرديات الأحادية. حظيت كتاباته بطبعات متكررة، ما يعكس تأثيرها الواسع وطلبها المستمر في الأوساط الأكاديمية. من خلال موقعه كباحث ومحرر في مشاريع أكاديمية كبرى، تمكن من تقديم دراسات محورية أسهمت في إعادة تشكيل فهم الإسلام داخل المؤسسات البحثية الغربية. امتد تأثيره إلى خارج المجال الأكاديمي، حيث شارك في نقاشات حول السياسات المتعلقة بالإسلام، ما عزز من دوره كأحد أبرز الأصوات التي تسعى إلى تقديم قراءة معمقة ومنصفة لهذا الدين في السياق الغربي.

يسهم هذا البحث في تسليط الضوء على أهمية تناول الإسلام من وجهة نظر غربية من خلال نموذج جون إسبوزيتو، الذي شكّلت أعماله ركيزة أساسية في الدراسات الإسلامية الحديثة داخل الأوساط الأكاديمية الغربية. يبرز الموضوع الحاجة إلى فهم كيفية تشكل التصورات الغربية

حول الإسلام، ومدى تأثير الباحثين المتخصصين في إعادة تشكيل هذه الصورة بعيداً عن التمييز والأحكام المسبقة.

يروم البحث كذلك تحقيق عدة أهداف، منها تحليل الإطار المعرفي الذي تبناه إسبوزيتو في مقارنته للإسلام، وتتبع تطور خطابه الأكاديمي في ظل التحولات الجيوسياسية الكبرى، بالإضافة إلى تقييم مدى نجاحه في تقديم رؤية متوازنة تسهم في تعزيز الحوار بين الثقافات. كما يهدف إلى استجلاء أثر كتاباته في الأوساط البحثية وصنع القرار السياسي، وقياس مدى استجابتها لتحديات الإسلاموفوبيا في السياق الغربي المعاصر.

يشكل تناول الإسلام من منظور غربي، كما يجسده نموذج جون إسبوزيتو، مدخلاً لفهم أوسع للرهانات الفكرية والسياسية التي تحكم دراسة الأديان في السياق الأكاديمي الغربي. إن تحليل مسار إسبوزيتو وأعماله يتيح استكشاف مدى قدرة البحث الأكاديمي على تجاوز الصور النمطية، ومدى تأثيره في رسم ملامح الخطاب السائد حول الإسلام. من خلال هذا البحث، تتضح أهمية المقاربات النقدية في تحقيق فهم أكثر إنصافاً للإسلام والمسلمين، بعيداً عن التحيزات الأيديولوجية التي غالباً ما تطغى على الخطاب العام في الغرب.

أولاً: جون إسبوزيتو: المسيرة الأكاديمية والتأثير الفكري

يُعدّ الدكتور جون لويس إسبوزيتو (John L. Esposito) من أبرز الأصوات الأكاديمية الغربية التي تناولت الإسلام في العقود الأخيرة بمنهجية علمية نقدية، بعيداً عن التصورات النمطية التي حكمت الإنتاجات الاستشراقية التقليدية. وُلد إسبوزيتو سنة 1940 بنيويورك، ونشأ في بيئة كاثوليكية، حيث تلقى تعليمه الأولي في مؤسسات كاثوليكية محافظة، ما جعله في البداية غير ملمّ بالإسلام أو ثقافته. غير أن اهتمامه بالإسلام بدأ يتشكل في مرحلة الدراسات العليا، تحديداً خلال دراسته للماجستير والدكتوراه، حيث شكّل اطلاعه على الحركات الدينية غير المسيحية دافعاً لمحاولة فهم الإسلام من الداخل، لا من خلال عدسة التأويل الغربي المتوارث.

بدأ مساره الأكاديمي بدراسة الفلسفة واللاهوت المسيحي، حيث حصل على شهادة الماجستير من كلية القديس يوسف (St. John's University)، وهي مؤسسة كاثوليكية مرموقة، قبل أن يتجه إلى دراسة الأديان المقارنة. وقد قاده هذا المسار إلى جامعة تمبل (Temple University)، حيث حصل على الدكتوراه سنة 1974، وكان موضوع أطروحته يدور حول الفكر الإسلامي

المعاصر، مركزًا على تجديد الفكر الديني في الإسلام، مما فتح أمامه آفاقًا جديدة لفهم الحركات الإسلامية والنصوص الدينية بمنظور غير نمطي¹.

كان من بين أساتذته المؤثرين في تلك المرحلة البروفسور إسماعيل راجي الفاروقي، أحد أبرز المفكرين المسلمين في أمريكا، والذي ساهم في تقريب مفاهيم الإسلام إلى الباحثين الغربيين عبر الجمع بين المعرفة الإسلامية والمنهج الغربي. كما تأثر إسبوزيتو أيضًا بأعمال ولفريد كانتويل سميث (Wilfred Cantwell Smith)، المتخصص في تاريخ الأديان، والذي دعا إلى تجاوز النزعة المركزية الغربية في دراسة الظواهر الدينية². هذه التأثيرات الفكرية كان لها بالغ الأثر في صقل مسار إسبوزيتو، الذي اختار أن يجعل الإسلام موضوعًا رئيسًا لبحثه الأكاديمي.

شرع إسبوزيتو في تدريس مادة "الإسلام المعاصر" في عدد من الجامعات الأمريكية، وكان من المؤسسين الأوائل لمركز فهم الإسلام والعلاقات المسيحية الإسلامية بجامعة جورجتاون، حيث عمل أستاذًا للعلاقات الدولية والدراسات الإسلامية. كما تولى رئاسة مركز الوليد بن طلال للتفاهم الإسلامي-المسيحي، وهو مركز بحثي يهدف إلى تعزيز الحوار بين الحضارات ومكافحة الصور النمطية³.

دُشّن المسار الفكري للدكتور جون ل. إسبوزيتو في وقت مبكر من حياته الأكاديمية، حيث تميزت تجربته التعليمية بتعدد وتنوع التخصصات. فقد حصل إسبوزيتو على درجة الماجستير في اللاهوت من جامعة سانت جون، وهي المرحلة التي بدأ فيها الاهتمام العميق بالأديان المقارنة، وفي مقدمتها الإسلام. وكانت هذه المرحلة بمثابة النقطة الفارقة التي شكّلت إصراره على البحث الأكاديمي في مجال الدراسات الإسلامية، والتي كانت آنذاك تقتصر بشكل كبير على الزوايا الغربية التقليدية والسطحية حول الإسلام.

كما أن تحصيله العلمي في جامعة تمبل، حيث حصل على درجة الدكتوراه في الدراسات الدينية، قد زوده بأدوات البحث النقدي العميق في فهم الأديان والتفاعل بينها. هذا التكوين الأكاديمي المتين مكّنه من أن يتخذ نهجًا أكاديميًا لا يتأثر بالأحكام المسبقة التي عادة ما تكون

¹ John L. Esposito (1991), *Islam: The Straight Path* (Oxford: Oxford University Press), p.12.

² John O. Voll (1996), "John L. Esposito and the Study of Islam," in *Islam and Democracy*, edited by Esposito and Voll (Oxford: Oxford University Press), pp. 3–6.

³ Georgetown University (n.d.), "John L. Esposito – Faculty Bio," retrieved from Georgetown University Website.

محورية في الأدبيات الغربية حول الإسلام. من خلال هذه الفترة، بدأ إسبوزيتو في دراسة العلاقات بين الأديان المختلفة، مع محاولة تفكيك الصور النمطية التي كانت تُبنى حول الإسلام.

خلال مسيرته التعليمية، كان لإسبوزيتو شرف الاستفادة من إرشادات أساتذة مرموقين كانوا يؤمنون بأهمية الانفتاح الفكري والدراسة العميقة للثقافات الأخرى. من بين هؤلاء الأساتذة إسماعيل راجي الفاروقي¹، الذي يُعد من رواد فكر "أسلمة المعرفة". قدّم الفاروقي لإسبوزيتو رؤية متكاملة حول كيفية دراسة الإسلام من منظور داخلي بدلاً من الاعتماد على الآراء الخارجية التي لطالما كانت مشبعة بالتحيزات السلبية. أثر الفاروقي على إسبوزيتو كان عميقاً جداً، إذ علمه كيف يقارب الدين الإسلامي من خلال فهمه لطرائق التفكير الإسلامي، ويظهر بذلك كيف أن التفاعل مع الإسلام يجب أن يخرج عن دائرة الانطباعات التقليدية التي عادة ما تهيمن عليها النظرة الاستشراقية².

توجه إسبوزيتو إلى دراسة الإسلام عبر دراسات مقارنة للأديان، وهو ما شكّل البنية الأساسية لعدد من مؤلفاته اللاحقة. أساتذته أمثال ولفريد كانتويل سميث، الذي كان يُعتبر من أكبر النقاد للاستشراق، أثروا على إسبوزيتو في تأكيده على ضرورة تجاوز الأطر الغربية المحدودة لفهم الإسلام. تأثرت كتابات إسبوزيتو بمقولات كانتويل سميث حول "الإسلام كما يراه المسلمون"، مؤكداً على أهمية تقديم الإسلام على أساس تجربة المسلمين الذاتية.

من خلال محاكاة أفكار أساتذته وتوجيهاتهم، طور إسبوزيتو منهجاً أكاديمياً مميزاً يتمثل في تقديم قراءة نقدية للإسلام بعيداً عن الأطر الاستشراقية التقليدية. في كتابه البارز الإسلام: الطريق المستقيم، كان إسبوزيتو يسعى إلى تقديم صورة شاملة ودقيقة عن الإسلام كدين وحضارة، مع التركيز على التعددية داخله. وقد ركز في عمله على تفكيك الصور النمطية السلبية عن الإسلام، مثل الربط الجائر بين الإسلام والإرهاب، وقدّم رؤية أكثر توازناً عبر استعراض التعددية الفكرية والسياسية التي تميز العالم الإسلامي.

¹ إسماعيل راجي الفاروقي (1921م - 1986م) هو مفكر فلسطيني بارز، تميز بإسهاماته العميقة في مجال الأديان المقارنة. يُعتبر من الرواد الذين نظروا لمشروع "إسلامية المعرفة"، الذي كان يسعى إلى توظيف المنهجية الإسلامية في فهم وتحليل العلوم والمعارف المختلفة. تولى الفاروقي أول رئاسة للمعهد العالمي للفكر الإسلامي، حيث لعب دوراً محورياً في نشر هذا الفكر وإرساء أسس علمية جديدة لدراسة الدين الإسلامي. للأسف، لقي الفاروقي حظه برفقة زوجته لمياء الفاروقي في حادث مأساوي، حيث تعرضا للطعن بالسكاكين في ليلة 18 رمضان 1406هـ (الموافق 27 مايو 1986م) بالولايات المتحدة الأمريكية.

² جاسم، ناصر عبد الرزاق الملا (2014): إسماعيل الفاروقي وجون إسبوزيتو: أنموذج للحوار الإسلامي المسيحي، المعهد العالمي للفكر الإسلامي.

لم يقتصر تأثير التكوين الأكاديمي على كتابات إسبوزيتو في مجال دراسات الإسلام، بل امتد إلى المساهمة الفعالة في حوار الأديان. من خلال عمله في مركز دراسات الإسلام في جامعة جورجتاون، أسس إسبوزيتو نموذجًا معرفيًا جديدًا يسعى إلى تمكين فهم أعمق للأديان الأخرى عبر الحوار المباشر. هذا كان جزءًا من جهوده لردم الهوة بين الشرق والغرب. وقد جعل من هذا الحوار الأكاديمي جزءًا من هدفه الرئيسي: تغيير التصورات الغربية عن الإسلام من خلال فهم التنوع الثقافي والديني للمجتمعات الإسلامية.

من أبرز التحديات التي واجهها إسبوزيتو، كانت قضية "الإسلاموفوبيا" التي تفاقمت بعد أحداث 11 سبتمبر. في هذا السياق، كان إسبوزيتو من الأصوات الأكاديمية التي نادى بالحاجة إلى فصل الإسلام عن التصورات المغلوطة السائدة في الغرب. تحليل إسبوزيتو للأحداث السياسية الكبرى مثل الحروب في العراق وأفغانستان كان يقدم قراءة نقدية للصور النمطية الغربية، مؤكدًا على ضرورة النظر إلى الإسلام كدين عالمي متنوع لا يمكن اختزاله في أطر محددة.

ثانيًا: الخوف من الإسلام بين الواقع والخرافة

إن التمثيلات الغربية للإسلام لا تتفصل عن موقعه العالمي وقيمه الرمزية في المخيال الجيوسياسي المعاصر. فبغض النظر عن مدى واقعية ما يُروّج حول "التهديد الإسلامي"، فإن الحقيقة الثابتة أن الإسلام يشكل ديانة عالمية تمتد جذورها في قارات متعددة، ويعتقده ما يزيد عن مليار ونصف من البشر، موزعين على فضاءات استراتيجية تمتد من غرب إفريقيا إلى جنوب شرق آسيا. هذه الامتدادات السكانية والثقافية والسياسية تُشهم، من وجهة نظر البعض في الغرب، في تعزيز ما يُسمّى بـ"منظور الحظر الإسلامي" أو Islamic containment perspective¹، الذي يفترض - عن وعي أو عن توجّس - أن الإسلام بما هو دين وحضارة يملك إمكانيات التأثير العابرة للحدود. هكذا لا يتم التعامل مع الإسلام فحسب كعقيدة دينية، بل كقوة إيديولوجية تمتلك قدرة كامنة على التعبئة، وعلى إعادة تشكيل موازين القوى، الأمر الذي يُعزّز لدى بعض الفاعلين السياسيين الغربيين مشاعر الارتياح والخوف، حتى عندما تكون المعطيات الميدانية والواقعية مختلفة تمامًا عن هذه التصورات.

لقد أسهمت مقاربة جون ل. إسبوزيتو في تعرية الاختزال الإعلامي والسياسي الذي يُلصق بالحركات الإسلامية صفة التماثل الأيديولوجي والانغلاق العقائدي. ففي معرض نقده للرؤية الأمريكية، يُشير إلى أن كثيرًا من صنّاع القرار، على غرار وسائل الإعلام، قد أخفقوا في الإحاطة

¹ إسبوزيتو، ج. ل. (2002): التهديد الإسلامي: خرافة أم حقيقة؟ (ق. ع. قاسم، مترجم، ط. 2). القاهرة: دار الشروق. (العمل الأصلي نُشر سنة 1992)، ص26.

بالتعقيد البنيوي لهذه الحركات، إذ ظلوا يُصورون العالم الإسلامي ككتلة واحدة متراسة، لا تنفك ترتبط في أذهانهم بالتطرف والعنف.¹ هذا التصور القاصر يغفل الفروق الدقيقة في الجغرافيا والتكتيك والخطاب السياسي، ناهيك عن التباينات في المرجعيات الفكرية والمواقف من الغرب ومن قضايا السياسة الخارجية، لا سيما فيما يتصل بمسألة "النهضة الإسلامية".² إن هذا التعميم، كما يوضح إسبوزيتو، لا يعكس واقع التنوع الداخلي بقدر ما يُعيد إنتاج خطاب الهيمنة الذي يجد في الإسلام "الموحد والمهدد" مبررًا للضبط والسيطرة. ومن هنا، فإن دعوته إلى مقارنة أكثر تفكيكًا وتحليلًا تنبع من وعي معرفي يستدعي إعادة النظر في النماذج التفسيرية التي أنتجت السياسة أكثر مما أملت المعرفة.

في تعامله مع الأبعاد التاريخية لحضور الإسلام، يسلط جون ل. إسبوزيتو الضوء على مفارقة جوهرية طالما أغفلتها السرديات الغربية: فبينما يُتهم الإسلام بانغلاقه وتشدده، يكشف السجل التاريخي، بحسبه، عن دين مارس من التسامح والتعدد ما عجزت عنه منظومات دينية وسياسية أخرى في فترات مماثلة.³ لقد قدّم الإسلام، ولا سيما في فترات ازدهاره الحضاري، نموذجًا متقدمًا في إدارة التعدد، حيث أتاح لأهل الكتاب من يهود ومسيحيين مساحة واسعة من الحرية الدينية، لا تُختزل في التسامح السلبي، بل تتجلى في المشاركة الفاعلة ضمن الحياة العامة. وهذه الإشارة من إسبوزيتو لا تأتي بمعزل عن هدفه الأكبر، والمتمثل في نقض الصور النمطية التي جعلت من الإسلام مرادفًا للهيمنة أو الإقصاء، مؤكدًا أن المرجعية الإسلامية في جوهرها تحمل بذور الانفتاح الحضاري والتعايش، لا سيما حين تُفهم في سياقاتها التاريخية لا عبر عدسات السياسة المعاصرة.

ومما يعزز زيف الرؤية الأحادية التي تُقدّم عن الإسلام في عدد من الخطابات السياسية والإعلامية الغربية، ذلك الميل المتجذر إلى التعامل مع العالم الإسلامي وكأنه كتلة صماء، لا تعرف إلا التطرف، ولا تعبر إلا عن خطاب عدائي تجاه الغرب. وقد أفضى هذا التعميم المخل إلى إنتاج ثنائيات تبسيطية تختزل المشهد برمته في مفاهيم من قبيل "نحن" و"هم"، أو "الحرية" و"الاستبداد"، ما أفرغ الواقع من تعقيد ونسبته، وضخّم من سردية "التهديد الإسلامي" بوصفه تحديًا حضاريًا وجيوسياسيًا دائمًا.

لقد انزلق صانعو القرار في الولايات المتحدة، ومعهم عدد كبير من مؤسسات الإعلام، في تمثيلهم للصحة الإسلامية كظاهرة تهدد الاستقرار العالمي، وتتنافى مع القيم الديمقراطية. ولم يكن ذلك محض تحيز ظرفي، بل امتدادًا لتاريخ طويل من التصورات المشحونة، حيث استُحضرت

¹ المصدر نفسه، ص 28.

² المصدر نفسه.

³ المصدر نفسه، ص 95.

نماذج كالحكم العثماني لتبرير مخاوف عميقة. فالدولة العثمانية التي وصلت جيوشها إلى قلب أوروبا قُدمت في الخطاب الأوروبي، لا ككيان سياسي له تحولات وتناقضات، بل كـ"جلاد أوروبا"¹، يعادي المسيحية ويتربص بالحضارة الغربية. ورغم ما عرفته التجربة العثمانية من أشكال متعددة للتسامح الديني والتنوع الثقافي، فإن هذا التصور ظل حاضراً بقوة في البنية الذهنية الغربية، واستُخدم كإطار تأويلي مسبق لفهم كل ظاهرة إسلامية جديدة.

جون ل. إسبوزيتو، الذي أمعن في تفكيك هذه الصور المقولبة، يشير بوضوح إلى أن الإسلام، من منظور تاريخي، برهن على كونه من أكثر الديانات تسامحاً، بل إنه منح أهل الكتاب من يهود ومسيحيين في سياقات متعددة حريات دينية لم تكن متاحة لهم أحياناً في بلدان أوروبا ذاتها¹. وهذا ما يُسقط فرضية "التهديد" من أساسها، ويجعلها أقرب إلى الخرافة منها إلى الحقيقة. فالعالم الإسلامي ليس كتلة متجانسة، بل فضاء مركّب من تيارات متعددة، تتباين في الجغرافيا والتكتيك والسياسة والتوجهات الفكرية، كما أن الحركات الإسلامية نفسها لا تُختزل في نهج واحد، بل تعبّر عن مسارات مختلفة بين من يتبنون السلمية والإصلاح ومن يميلون إلى المواجهة أو القطيعة.

إن وسم الإسلام بالعداء، بناء على فواعل هامشية أو أحداث ظرفية، لا يخدم فهماً علمياً للواقع، بل يكرّس رؤية أيديولوجية تبرّر الإقصاء والتوجس، وتغذي صناعة الخوف بدلاً من بناء جسور الحوار. من هنا، تظهر أهمية صوت مثل (إسبوزيتو)، الذي لا يكفي بإدانة الصورة النمطية، بل يُعيد تفكيك منظومتها المرجعية، ويدعو إلى قراءة أكثر توازناً لتاريخ الإسلام وراهنه.

لقد تكررت الصورة النمطية للإسلام في الخطاب الغربي، حيث غالباً ما تم اختزاله إلى تهديد أو تحدٍ وفقاً للظروف السياسية والاقتصادية السائدة في لحظات تاريخية معينة. هذا التوصيف يتأثر بشكل كبير بالأحداث الكبرى التي شهدتها العالم في أوقات مختلفة، مثل الثورة الإيرانية وما رافقها من استقطاب سياسي وعسكري، إضافة إلى تصاعد الأعمال الإرهابية المنسوبة لجماعات إسلامية متطرفة. إلا أن هذا التعميم الذي يساوي الإسلام بالأصولية العنيفة ينسف في جوهره التعددية والتنوع الكبيرين اللذين تتميز بهما الحركات الإسلامية المعاصرة.

فبينما عُرفت فترة الثمانينيات والتسعينيات بتصاعد النزاعات والحروب التي كان يتم توظيف الدين فيها بشكل سياسي، فإن هذا السياق السياسي قد خلط بين الحركات الإسلامية التي كانت تسعى إلى الإصلاح الاجتماعي وبين تلك التي كانت تستخدم العنف لتحقيق أهدافها. هذا التباين لم يكن مقتصرًا على الجغرافيا بل تعداها ليشمل اختلافات واضحة في السياسات الداخلية

¹ نفسه، ص387.

والتوجهات الأيديولوجية. إذ لم تكن الثورة الإيرانية مجرد حادثة عابرة وإنما كانت مؤشراً على حراك سياسي جديد بدا وكأنه يشكل تهديداً للأنظمة الغربية، الأمر الذي دفع الكثيرين إلى إعادة النظر في موقع الإسلام في التوازنات الجيوسياسية.

ورغم ما عُرف عن تلك الفترة من ربط بين الإسلام والإرهاب، إلا أن الأحداث التي تلت ذلك مثل وفاة الخميني وغياب الثورة الثانية أو استيلاء الحركات الجهادية على السلطة فندت الكثير من هذه التصورات. فالسياقات السياسية لم تكن تسمح بظهور نموذج آخر من الإسلام الثوري كما كان متوقعاً. هذا الواقع يعكس التباين بين الفهم الغربي للأحداث والمواقف الإسلامية المتنوعة، ويكشف عن خطأ التعميم الذي غالباً ما يعتمد عليه الغرب عند النظر إلى الإسلام على أنه تهديد واحد ومتسق في جميع أشكاله.

في ضوء ذلك، تكشف هذه الديناميكيات عن أزمة حقيقية في فهم الإسلام في الغرب، حيث تتم ملاحظة حركات إسلامية متنوعة تتراوح بين الدعوة للإصلاح السياسي والاجتماعي إلى حركات متطرفة تسعى لتغيير الأنظمة بالقوة. إن ربط هذه الحركات كلها بتسمية "الأصولية" أو "الإرهاب" لا يعكس الواقع المعقد والمتعدد الأبعاد لهذا الدين العالمي، بل يعكس بشكل أكبر ضيق الأفق الذي يسيطر على الخطاب الغربي، الذي غالباً ما يختزل الإسلام في قوالب جاهزة ولا يدرك تعقيداته التاريخية والاجتماعية.

إن التحولات التي شهدتها المجتمعات الإسلامية في العقود الأخيرة تكشف عن تصاعد تأثير الإحياء الإسلامي وتحديه للنظريات العلمانية الغربية، التي كانت سائدة لفترة طويلة في تفسيرها لعملية التحديث والتنمية. فالإحياء الإسلامي، بما يمثله من قوى اجتماعية وسياسية، قد أثبت أن الدين في بعض الحالات، على الرغم من كونه عاملاً مفرقاً في بعض السياقات، يبقى قوة اجتماعية حافظة وملهمة في وجه الأزمات الاقتصادية والسياسية التي تعيشها بعض الدول الإسلامية. في الواقع، قد تتسبب الإخفاقات السياسية والاقتصادية للنظم الحاكمة في تعزيز الدور الاجتماعي والسياسي للحركات الإسلامية، مما يعكس الفجوة بين النظم العلمانية التي تؤمن بفصل الدين عن الدولة، وبين الجماعات الإسلامية التي ترى أن الإسلام جزء لا يتجزأ من الحياة السياسية والاجتماعية.

من جهة أخرى، كان للإحياء الإسلامي تأثير ملموس في المجتمعات الإسلامية، لا سيما في مجالات التعليم والصحة والخدمات الاجتماعية، حيث فرضت الحركات الإسلامية نفسها كمؤسسات بديلة عن الدولة، التي غالباً ما تكون عاجزة عن تقديم هذه الخدمات بشكل فعال. ومع تزايد هذه النشاطات، بدأ يظهر التحدي السياسي لهذه الحركات، التي لم تعد تقتصر على كونها

مجرد ظواهر هامشية، بل أصبحت جزءاً من النسيج الاجتماعي والسياسي للمجتمعات المسلمة، وهذا ما شكل تهديداً حقيقياً للأنظمة القائمة.

علاوة على ذلك، فإن التقدم الذي حققته الحركات الإسلامية في الانتخابات في العديد من البلدان مثل الجزائر، مصر، تركيا، والأردن، قد فاجأ الكثير من المراقبين. هذا النجاح لا يعكس فقط رغبة هذه الحركات في الوصول إلى السلطة، بل يعكس أيضاً الدعم الشعبي الذي تتمتع به هذه الحركات في بيئات شديدة التأثر بالظروف السياسية والاقتصادية.¹ يكمن التحدي الأبرز الذي يواجهه الغرب، بالإضافة إلى الأنظمة الحاكمة في العالم الإسلامي، في إشكالية دمج هذه الحركات داخل النظام السياسي السائد. فالعديد من هذه الحركات لم تعد تُعتبر مجرد مجموعات متطرفة، بل باتت جزءاً لا يتجزأ من النظام السياسي في بلدانها.

وفي هذا السياق، فإن إدانة الأنظمة الحاكمة لهذه الحركات باعتبارها تهديداً للاستقرار الوطني والإقليمي تصبح قضية محورية في عملية التحول الديمقراطي في العالم الإسلامي. إذ إن هذه الحركات لا تسعى فقط إلى تغيير الأنظمة السياسية من خلال العنف، بل تسعى أيضاً إلى المشاركة في بناء مجتمع مدني قوي يكون قادراً على مواجهة التحديات الاجتماعية والسياسية بطرق سلمية. وهذا ما يجعل من الحركات الإسلامية في العالم الإسلامي لاعباً أساسياً في معادلة الاستقرار السياسي والتغيير الديمقراطي، في الوقت الذي تظل فيه نظرة الغرب لهذه الحركات محكومة برؤى مسبقة قد لا تعكس تعقيداتها وتنوعها الحقيقي.

من خلال تحليله، يتبع إسبوزوتو منهجاً يعكس رؤية نقدية ومتجددة للإسلام في الزمن المعاصر. هو لا يقف عند النظرة الأحادية التي ترى في الإسلام تهديداً أو تحدياً، بل يعتمد إلى تفكيك هذه الصور النمطية من خلال فهم أوسع يشمل السياقات المتنوعة التي يبرز فيها الإحياء الإسلامي. فبدلاً من اختزال الحركات الإسلامية في جماعات راديكالية أو متطرفة، يظهر الإسلام كظاهرة مركبة ذات أبعاد اجتماعية وثقافية وسياسية متعددة. وهكذا، يسلط الضوء على دور الدين كقوة حافظة لا يمكن تجاهلها في العديد من المجتمعات الإسلامية، حيث تتداخل الأبعاد السياسية والاقتصادية مع المواقف الدينية التي، رغم ما تحمله من تنوعات جغرافية وأيديولوجية، تشكل واقعاً سياسياً لا يمكن تجاهله.

تبرز مقارباته كيف أن الإحياء الإسلامي لم يكن مجرد رد فعل على الإخفاقات السياسية والاقتصادية في بعض الدول المسلمة، بل كان أيضاً رداً على الإيديولوجيات العلمانية الغربية التي تسعى إلى إقصاء الدين من الفضاء العام. كما يوضح أن هذه الحركات، على الرغم من اختلافات

¹ المصدر نفسه، ص 388.

توجهاتها، أخذت تمثل جزءًا من الواقع السياسي المعاصر الذي يتحدى المفاهيم الغربية التي اعتادت على تفسير التحديث من خلال العلمنة والتغريب. وبالتالي، يرتبط منهجه بتوضيح كيف أن هذه الحركات، التي كانت تُصنف في البداية على هامش الأنظمة القائمة، أصبحت تمثل تهديدًا أكثر تعقيدًا عندما اندمجت في النظام السياسي المحلي.

تجسد أكاديمية جون ل. اسبوزوتو نهجًا متميزًا في الدراسة والتحليل، حيث يتسم عمله بالحياد والموضوعية، ويعكس قدرة عالية على تفكيك المفاهيم السائدة وتقديم رؤى نقدية بعيدة عن التحيز. لم يكن اسبوزوتو متأثرًا بالاتجاهات السياسية أو الإيديولوجية التي تحكم الكثير من الدراسات المعاصرة، بل سعى إلى تحليل الإسلام كظاهرة اجتماعية وثقافية تتداخل مع مختلف الأبعاد السياسية والاقتصادية. اهتمامه الواضح بتعدد وجهات النظر كان يقوده إلى فهم أعمق للسياقات المتنوعة التي يشهدها العالم الإسلامي، حيث اهتم بجوانب لم تُسلط عليها الأضواء من قبل، مثل التأثير الاجتماعي والاقتصادي للإحياء الإسلامي على المجتمعات المحلية. أكاديميته التي تركز على تقديم الحقائق وتحليلها بشكل متوازن وواقعي تعكس التزامه بالبحث العلمي الصارم، الذي يتجاوز الفهم السطحي أو التصورات النمطية لتقديم تحليل شامل يعزز من قدرة القارئ على النظر إلى القضايا من زوايا متعددة دون انحياز.

ثالثًا: مستقبل الإسلام

ينفتح التفكير في مستقبل الإسلام على ضرورة الإصغاء إلى أصوات علمية رصينة لا تختزل الدين في خطاب الهوية، ولا تستهين بعمقه الحضاري كفاعل في التاريخ المعاصر. وفي هذا الأفق، يبرز إسبوزيتو بوصفه أحد الباحثين الغربيين الذين زاجوا بين المعرفة الأكاديمية والنزاهة الفكرية، بعيدًا عن الأحكام النمطية والاستراتيجيات المقولبة. لم يضع الإسلام في قفص الاتهام، ولم يصطف في خندق التبشير، بل قاربه كحقل حيّ، متحرك، يحمل في طياته إمكانات التحول والتجدد بقدر ما يواجه تحديات التأويل والسلطة. فحياده ليس تواطؤًا مع السائد، بل تفكيرًا لآليات الخطاب المهيمن، وانحيازًا للمعنى ضد الابتذال، وللإصلاح ضد الجمود. ومن هنا، يتخذ بحث مستقبل الإسلام عنده مسارًا لا ينفصل عن الشروط السياسية والاجتماعية والرمزية التي تصوغ إمكانه أو تعيقه، دون أن يغفل عن دور الفاعلين المسلمين أنفسهم، من مصلحين ومفكرين ونشطاء، في إعادة تشكيل هذا المستقبل على أسس من التعددية والعدالة والكرامة.

يواجه الإسلام، في سياق القرن الحادي والعشرين، مفترق طرق حاسمًا، تتقاطع فيه الرهانات الدينية بالتحويلات السياسية والاجتماعية، ويتحدد ضمنه مستقبل العلاقة بين العالم الإسلامي والغرب. فغالبية المسلمين لا تنتظر إلى الغرب بوصفه كيانًا دينيًا معاديًا، ولا ترى أن العلاقة به قائمة على صراع حضاري أو ديني، بل تتطرق من إدراك دقيق للسياسات الدولية التي صاغت، ولا

تزال، علاقات الهيمنة والتبعية. ويؤكد جون إل. إسبوزيتو أن مصدر الأزمة لا يكمن في الإسلام ذاته، وإنما في ثنائية الاستبداد والتعددية التي تشق العالم الإسلامي من الداخل، حيث تمارس الأنظمة القمعية سلطتها ضد كل محاولة للإصلاح، في حين تعزز بعض السياسات الغربية هذا الواقع بدعوى محاربة التطرف، مما يفاقم هشاشة المجتمعات المدنية ويفتح المجال أمام التطرف العنيف من جهة، والجمود المحافظ من جهة أخرى.¹

إن التحول نحو مجتمع مدني متعددي ومؤسساتي لا يتم بين عشية وضحاها، بل هو مسار طويل محفوف بالصراع والتجريب، كما عرفتة التجربتان الأمريكية والفرنسية في انتقالهما من الملكيات الإقطاعية إلى الديمقراطيات الحديثة. لذا، فإن التحدي الذي يواجه المسلمين اليوم لا يتعلق فقط بنقد بنى السلطة، بل كذلك بإعادة تأويل التراث الديني واستثماره في تأسيس مشروع إصلاحي تقدمي، يجمع بين الوفاء للأصول والانفتاح على مستجدات الواقع.²

غالبية المسلمين لا يرون الصراع مع الغرب على أنه صراع ديني أو حضاري، بل على أنه صراع سياسي ناتج عن السياسات المختلفة للدول وزعمائها. هذا يشير إلى وجود إدراك دقيق للواقع، حيث يفضل المسلمون تصنيف العالم الإسلامي إلى دول وحكومات مختلفة بدلاً من تسويته بالصراع الحضاري الشامل. وهذه النظرة تؤكد على أن السبب الرئيس في هذا الصراع ليس انتماء ديني أو ثقافي ثابت، بل هو تصادم السياسات الداخلية والخارجية.

هذه النقطة تدفعنا للتفكير في أن جوهر الصراع ليس نتيجة للخلافات الأيديولوجية أو الدينية، بل هي ناتجة عن تحديات سياسية تتعلق بالأنظمة الحاكمة. هذا يفتح المجال للنقاش حول كيفية تأثير الأنظمة السياسية على العلاقات الدولية وكيفية استجابة العالم الإسلامي لتلك التحديات التي تزداد تعقيداً بفعل هذه السياسات المتشابكة.

ومن هذا المنظور، فإن مستقبل الإسلام لا يمكن فصله عن مستقبل العالم، إذ يشير إسبوزيتو إلى أن التفاعل بين الإسلام والمسيحية - وهما أكبر ديانتين عالميتين - لم يعد أمراً ثانوياً، بل أصبح ضرورة إستراتيجية في عالم يتشابك فيه الأمن بالدين، والسياسة بالقيم. فالاعتراف المشترك بالقيم الأخلاقية والروحية، والعمل على تجاوز ذاكرة الصراع العقائدي، يُعدّان من أبرز رهانات هذا القرن. وهنا تبرز أهمية تجاوز الخطابات الإقصائية سواء من داخل العالم الإسلامي أو من خارجه، عبر بناء وعي جديد يدمج المشترك الإنساني ويؤسس للتعایش.³

¹ إسبوزيتو، جون إل. (2011): مستقبل الإسلام (دار النشر للجامعات)، ص240.

² المصدر نفسه، ص240-241.

³ المصدر نفسه، ص242.

الخطابات الغربية تشير إلى ضرورة بناء مجتمعات مدنية قوية بدلاً من الاستبداد، وهو ما يُنظر إليه على أنه يشكل حماية للمصالح الغربية. في الوقت نفسه، يوضح إسبوزيتو أن دعم الغرب للأنظمة الاستبدادية يؤدي إلى تعزيز ضعف الحكومات الإسلامية، مما يفاقم من الأوضاع السياسية ويزيد من ظهور التحديات مثل الإرهاب.

هنا، يتم التأكيد على أن الحلول الغربية قد تكون غير فعالة إذا لم تتضمن دعمًا حقيقيًا للمجتمعات المدنية والتغيير الداخلي. دعم الأنظمة الاستبدادية من قبل الغرب يعكس التناقض في السياسات الغربية التي تهدف إلى الحفاظ على استقرار مؤقت بينما تعزز الأزمات على المدى الطويل، مما يهدد باستمرار الفوضى والصراعات الداخلية التي تستغلها الجماعات المتطرفة.

ولعل ما يسميه بـ "الحلقة المفقودة" يشير إلى الحاجة للاعتراف المتبادل بين الديانات الإبراهيمية، والتأسيس لتراث مشترك يُعلي من قيم المواطنة وحرية الدين والتعبير والاجتماع، بوصفها ركائز لمجتمعات سلمية قادرة على مقاومة الكراهية والعنف. فمستقبل الإسلام، بحسب هذا التصور، ليس شأنًا داخليًا فحسب، بل قضية عالمية، يتوقف عليها مستقبل التعددية والتعايش في عالم شديد التعقيد والتداخل.¹

أصبح التعاون بين الحضارات في القرن الواحد والعشرين ضرورة أساسية لفهم العلاقات الدولية. هذا التعاون لا يقتصر على التفاهم بين الأديان المختلفة، بل يشمل أيضًا معالجة القضايا العالمية التي تهم كافة الشعوب. إن الحديث عن القيم المشتركة يشكل نقطة البداية لفهم كيفية تطور العلاقات بين الإسلام والغرب، من خلال إقامة شراكات قائمة على الاحترام المتبادل والتعاون في المجالات الحيوية مثل السياسة والاقتصاد.

كما يشير إسبوزيتو إلى أن مستقبل الإسلام والعالم الإسلامي يعتمد على شراكات أوسع تتجاوز الحدود الدينية والجغرافية. هذه الشراكات لا تقتصر على الشعوب الإسلامية فقط، بل تشمل أيضًا التعاون العالمي الذي يساهم في تحقيق العدالة الاجتماعية والكرامة الإنسانية.

يبرز إسبوزيتو تحولًا مهمًا في العلاقات بين الأديان من خلال المبادرات العالمية التي تسعى لتحقيق التفاهم بين الديانات المختلفة. هذه المبادرات تعكس محاولات لتجاوز الصراعات العقائدية التي مرت بها الأديان في الماضي، وفتح الطريق أمام ثقافة القبول المتبادل.

يؤكد إسبوزيتو كذلك أن مستقبل الإسلام لا ينفصل عن بقية العالم، مما يبرز أهمية التعاون العالمي في تشكيل المستقبل المشترك. فالمستقبل ليس في يد العالم الإسلامي فقط، بل في أيدي جميع الشعوب. وبالرغم من التحديات، فإن تعزيز التعاون الدولي القائم على القيم المشتركة مثل

¹ المصدر نفسه، ص243.

التعليم والحرية، يمثل الأساس لتخفيف حدة الصراعات والمساهمة في تحقيق الأمن والاستقرار العالميين.

رابعاً: نظرة جون إسبوزيتو للمرأة والديمقراطية

يناقش جون إسبوزيتو، في أعماله المتعددة، قضايا محورية ترتبط بالمرأة والديمقراطية في العالم الإسلامي. فإسبوزيتو يرى أن مسألة تمكين المرأة في المجتمعات الإسلامية لا ينبغي أن تُعتبر قضية ثقافية أو اجتماعية فحسب، بل هي قضية سياسية ودينية ذات أبعاد عميقة، خاصة في ظل بعض التفسيرات المشوهة التي تحد من دور المرأة بناءً على تأويلات تاريخية غير دقيقة. من خلال عمله في دراسة الإسلام، يوضح إسبوزيتو أن الإسلام نفسه لا يعارض حقوق المرأة، بل إن الممارسات الاجتماعية والدينية في بعض المجتمعات الإسلامية قد قيدت دورها في المجتمع.¹

يرى إسبوزيتو أن الخطاب الإسلامي التقليدي الذي يعارض حقوق المرأة قد جاء نتيجة لتفسيرات ثقافية بعيدة عن النصوص الدينية الإسلامية الأصلية. فالإسلام، كما يشير إسبوزيتو، قدم في تاريخه نماذج نسائية فاعلة في مختلف المجالات، سواء السياسية أو الاقتصادية أو الاجتماعية. وهذه النماذج كانت في كثير من الأحيان أكثر تقدماً مما تظهره بعض التصورات الغربية عن قمع المرأة في العالم الإسلامي.²

إسبوزيتو هنا يتناول قضية المرأة من زاوية غير تقليدية، حيث لا يعزو التحديات التي تواجهها المرأة في المجتمعات الإسلامية إلى الدين بحد ذاته، بل إلى التأويلات الاجتماعية والثقافية التي حولت النصوص الدينية إلى مبررات لفرض القيود على المرأة. بهذه الطريقة، يفتح إسبوزيتو المجال لتفسير جديد للإسلام، يتحدى الرؤى التي تدعي أن الدين الإسلامي هو المسؤول عن التمييز ضد المرأة. كما أنه يدعو إلى العودة إلى مصادر الشريعة لفهم أعمق لمكانة المرأة، مما يعكس فهماً تقدمياً يعترف بالقيم الإنسانية العميقة التي يدعو إليها الإسلام.

فيما يتعلق بالديمقراطية، يشدد إسبوزيتو على أن الإسلام ليس ضد الديمقراطية كما يُعتقد في بعض الأوساط، بل يمكن للإسلام أن يتبنى نموذجاً ديمقراطياً يتوافق مع القيم الإسلامية. يعتقد إسبوزيتو أن إعادة تفسير الشريعة الإسلامية تتيح إمكانية دمج الديمقراطية مع المبادئ الإسلامية بشكل يتماشى مع احترام حقوق الإنسان وتعزيز الحريات الأساسية، بما في ذلك حقوق المرأة.

¹ Esposito, J. L. (1999). Islam and Democracy. Oxford University Press, p. 213.

² Esposito, J. L. (1999). p. 245.

ويُبرز إسبوزيتو فكرة أن الديمقراطية الإسلامية ليست مجرد تقليد للنموذج الغربي، بل هي عملية مستمرة من الإصلاح، تدمج التراث الفكري والديني للمجتمع الإسلامي.¹

ينقض إسبوزيتو هنا الفكرة السائدة التي تعزو تهميش المرأة في المجتمعات الإسلامية إلى الدين الإسلامي بشكل مباشر. بدلاً من ذلك، يُظهر أن النموذج النسائي في التاريخ الإسلامي كان في كثير من الأحيان نموذجاً إيجابياً وفعالاً. هو يقدم أمثلة عديدة لنساء مسلمات شاركن في الحياة العامة بفعالية، مما يسلط الضوء على تناقض الصورة السلبية التي يتم تصويرها في الإعلام الغربي. من خلال هذه المقارنة بين الماضي والحاضر، يحث إسبوزيتو على العودة إلى التفسير الصحيح للدين الذي يتيح للمرأة مساحات أوسع للمشاركة والتطور.

يتناول إسبوزيتو أيضاً دور الديمقراطية في العالم الإسلامي باعتبارها عاملاً يمكن أن يساعد في تعزيز حقوق المرأة. فالديمقراطية، بحسبه، توفر بيئة لتعبير المرأة عن نفسها، وتتيح لها المشاركة في صنع القرار داخل المجتمع. على الرغم من التحديات التي تواجهها الديمقراطية في بعض البلدان الإسلامية، إلا أن إسبوزيتو يرى أن هذه العملية يجب أن تكون جزءاً من مشروع طويل الأمد يشمل إصلاحات فكرية وثقافية لتفعيل حقوق المرأة في العالم الإسلامي.²

يتبنى إسبوزيتو رؤية مرنة للديمقراطية في العالم الإسلامي، حيث لا يعتبرها مجرد استنساخ للنموذج الغربي، بل يرى أن هناك إمكانية لتطوير نموذج ديمقراطي إسلامي أصيل. فيربط إسبوزيتو الديمقراطية بالإصلاح الفكري المستمر، مما يعكس أفقاً طويلاً المدى لتحقيق التوازن بين قيم الشريعة الإسلامية ومبادئ الديمقراطية الحديثة. هذه الرؤية تفتح المجال لإعادة التفكير في التفاعل بين الدين والسياسة في العالم الإسلامي، وتظهر كيف يمكن للإسلام أن يساهم في بناء أنظمة ديمقراطية دون التضحية بالقيم الدينية أو الاجتماعية.

من خلال هذه الرؤية، يؤكد إسبوزيتو أن الديمقراطية قد تساهم في تحقيق التغيير الاجتماعي في العالم الإسلامي، عبر فتح المجال أمام المرأة للمشاركة الفعالة في مختلف جوانب الحياة السياسية والاجتماعية. ورغم التحديات التي تواجه هذه المجتمعات، إلا أن إسبوزيتو يرى أن المستقبل يبقى واعداً إذا تم دمج القيم الديمقراطية مع المبادئ الإسلامية لتحقيق مجتمع أكثر عدالة وحرية.³

¹ Esposito, J. L. (2001). What Everyone Needs to Know About Islam. Oxford University Press, p. 102.

² Esposito, J. L. (1999). Islam and Democracy. Oxford University Press, p. 239.

³ Esposito, J. L. (1999). p. 275.

يعزز إسبوزيتو هنا الربط بين الديمقراطية وحقوق المرأة، مشيرًا إلى أن الديمقراطية ليست فقط وسيلة لتوزيع السلطة بين الأفراد، ولكنها أيضًا أداة لتمكين المرأة من المشاركة في صنع القرار. من خلال هذه النظرة، يبرز إسبوزيتو أن الديمقراطية في العالم الإسلامي قد تساهم في تحسين وضع المرأة، خاصة إذا تم تعزيز الإصلاحات الثقافية والفكرية التي تدعم دورها في المجتمع. هذه الفكرة تشير إلى أن الطريق نحو تمكين المرأة في المجتمعات الإسلامية يعتمد على تطور فكري واجتماعي طويل المدى، مما يعكس فهما واقعيًا وديناميكيًا لمفهوم الديمقراطية.

يتبنى إسبوزيتو نظرة متفائلة تجاه المستقبل، حيث يرى أن الديمقراطية يمكن أن تكون المحرك الأساسي لتحسين الوضع الاجتماعي للمرأة في العالم الإسلامي. إنه يعترف بالتحديات التي قد تواجهها هذه المجتمعات في تطبيق المبادئ الديمقراطية، ولكنه يشير إلى أن هناك إمكانيات كبيرة للتحقيق في هذا المجال إذا تم دمج القيم الديمقراطية مع القيم الإسلامية. من خلال هذه الرؤية، يساهم إسبوزيتو في رسم ملامح مستقبل أكثر عدلاً وحرية، يتيح للمرأة المسلمة دورًا أكبر في تشكيل مستقبل مجتمعاتها.

من خلال استعراض أفكار جون إسبوزيتو حول المرأة والديمقراطية في العالم الإسلامي، نجد أن الفهم السائد عن العلاقة بين الدين وحقوق المرأة يحتاج إلى إعادة النظر. يبرز إسبوزيتو دور الشريعة الإسلامية في تعزيز حقوق المرأة إذا تم فهمها بعيدًا عن التفسيرات التقليدية المشوهة. هو يضع أمانًا إمكانيًا بناء مجتمع إسلامي يتيح للمرأة أدوارًا فاعلة، من خلال العودة إلى النصوص الأصلية بعيدًا عن التأويلات الثقافية. وفي هذا السياق، يعكس إسبوزيتو فهماً عميقاً لمفهوم الديمقراطية، حيث لا يجب أن تكون مجرد استنساخ للنموذج الغربي، بل يمكن أن تكون أصيلة في السياق الإسلامي، مما يفتح المجال لإصلاحات فكرية وثقافية تؤثر بشكل إيجابي على وضع المرأة وتعزز من مشاركة المجتمع ككل في صنع القرارات.

يُظهر إسبوزيتو بوضوح كيف يمكن للإسلام أن يكون دينًا داعمًا لمبادئ الديمقراطية وحقوق الإنسان، خاصة إذا تم تعزيز فهم حديث للنصوص التي تعتبر المرأة جزءًا أساسيًا من عملية التغيير الاجتماعي. كما أنه يربط بشكل ذكي بين تطور المفاهيم الديمقراطية وإمكانيات تعزيز دور المرأة في المجتمعات الإسلامية. هذه الرؤية تتجاوز الحدود التقليدية التي تقيد المرأة، وتقدم نموذجًا يُحتفى فيه بالقيم الإنسانية التي يدعو إليها الإسلام، مما يساهم في بناء مجتمع أكثر عدلاً وحرية.

الخاتمة:

يظهر من خلال استعراض موضوعات الديمقراطية، المرأة، الإسلاموفوبيا، ومستقبل الإسلام، أن فهم هذه القضايا يتطلب مقارنة شاملة تدمج بين النصوص الدينية، والتحولت السياسية والاجتماعية، والتحديات العالمية المعاصرة. على الرغم من التحديات التي تواجه المجتمعات الإسلامية في محاولات تعزيز الديمقراطية وحقوق المرأة، فإن هناك مساحة كبيرة لإصلاحات حقيقية تأخذ بعين الاعتبار القيم الإسلامية في إطارها الصحيح، بعيداً عن التفسيرات المتشددة.

يُبرز إسبوزيتو أهمية التوازن بين الحفاظ على الهوية الدينية وبين الانفتاح على قيم الديمقراطية وحقوق الإنسان التي تساهم في تقدم المجتمعات. في سياق الإسلاموفوبيا، يعكس فكر اسبوزيتو أن تحسين العلاقات بين الحضارات يتطلب فهماً أعمق للإسلام كدين يتسم بالتنوع والمرونة، وهو ما يعزز من ضرورة بناء حوار بين الثقافات قائم على الاحترام المتبادل والنقاها المشترك.

من هنا، يأتي مستقبل الإسلام في القرن الواحد والعشرين كمسار ممكن نحو التقدم، حيث يمكن للمجتمعات الإسلامية أن تلعب دوراً فعالاً في رسم ملامح عالم يسوده التعايش والتعاون بين الأديان والثقافات. إن تقدم هذه المجتمعات لا يتوقف على تجاهل التحديات الداخلية والخارجية فحسب، بل على قدرتها في إعادة التفكير في مفاهيمها وتطبيقاتها بما يتلاءم مع العصر دون التفريط في مبادئها الأساسية.

من خلال الموضوعات المتناولة، يمكننا أن نلاحظ ضرورة المقاربة المتكاملة لفهم هذه المسائل في سياقها المعاصر. هذه القضايا لا تنفصل عن التحولات السياسية والاجتماعية التي يمر بها العالم، بل هي نتاج تفاعل بين النصوص الدينية، الواقع السياسي، والتحديات العالمية. رغم الصعوبات التي تواجه المجتمعات الإسلامية في تحقيق تقدم حقيقي في مجال الديمقراطية وحقوق المرأة، إلا أن هناك آفاقاً واسعة للإصلاح الذي يعكس القيم الإسلامية في إطارها السليم بعيداً عن التفسيرات المتشددة.

فيما يتعلق بالعلاقة بين الإسلام والديمقراطية، هناك حاجة إلى التوازن بين الحفاظ على الهوية الدينية والانفتاح على قيم الديمقراطية وحقوق الإنسان التي تمثل الأسس الحقيقية لتطور المجتمعات الحديثة. من خلال التفاعل مع هذه القيم، يمكن للعديد من المجتمعات الإسلامية أن تسهم بشكل فاعل في بناء نموذج ديمقراطي يعكس روح العدالة والمساواة التي يفترض أن توفرها الأديان.

وفي سياق الإسلاموفوبيا، يظهر بوضوح أن تعزيز التفاهم بين الحضارات يتطلب رؤية أكثر شمولية للإسلام كدين غني بالتنوع والمرونة. من خلال الحوار البناء بين الثقافات، يمكننا تجاوز الفهم المغلوط الذي يروج له بعض الخطاب الغربي، وبالتالي فتح المجال لفرص أكبر لبناء علاقات قائمة على الاحترام المتبادل والتفاهم.

من جهة أخرى، يحمل مستقبل الإسلام في القرن الواحد والعشرين في طياته إمكانيات كبيرة نحو التقدم. تتطلع المجتمعات الإسلامية إلى دور نشط في عالم متعدد ومتغير، يسعى لتحقيق التعايش بين الأديان والثقافات. هذا التوجه لا يتطلب تجاهل التحديات الداخلية والخارجية، بل يتطلب القدرة على إعادة التفكير في المفاهيم التقليدية وتحقيق التوازن بين الحفاظ على المبادئ الإسلامية وتطبيقاتها في العصر الحديث.

رغم التحديات التي تواجه المجتمعات الإسلامية، يظهر أن لديها القدرة على التكيف مع المعطيات الجديدة دون التفريط في قيمها الدينية الأساسية. إن الإصلاحات الداخلية التي تتم في إطار مراعاة القيم الإنسانية المشتركة تعد عنصراً أساسياً في تحقيق تقدم المجتمع الإسلامي. من خلال تعزيز الحوار بين الثقافات والمجتمعات، يمكن بناء مستقبل مزدهر يعتمد على التعاون بين الأديان والثقافات، وبالتالي تحقيق عالم يسوده الأمن والاستقرار.

قائمة المصادر والمراجع:

- إسبوزيتو، جون إل. (2002). التهديد الإسلامي: خرافة أم حقيقة؟ (ق. ع. قاسم، مترجم، ط. 2). القاهرة: دار الشروق. (الطبعة الأصلية نُشرت سنة 1992).
- إسبوزيتو، جون إل. (2003). الحرب غير المقدسة: الإرهاب باسم الإسلام. نيويورك: مطبعة جامعة أكسفورد.
- إسبوزيتو، جون إل. (2010). إسلاموفوبيا: تحدي التعددية في القرن الواحد والعشرين. أكسفورد: مطبعة جامعة أكسفورد.
- إسبوزيتو، جون إل. (2011). مستقبل الإسلام. القاهرة: دار النشر للجامعات.
- سعيد، إدوارد. (1978). الاستشراق. نيويورك: بانثيون بوك.
- سميث، و. سي. (1964). معنى ونهاية الدين. فورتريس برس.
- Esposito, John L. (1991). Islam: The Straight Path (3rd ed.). New York: Oxford University Press.

- Esposito, John L. (1992). The Islamic Threat: Myth or Reality? New York: Oxford University Press.
- Esposito, John L. (2003). Unholy War: Terror in the Name of Islam. New York: Oxford University Press.
- Esposito, John L. (2010). Islamophobia: The Challenge of Pluralism in the 21st Century. Oxford: Oxford University Press.
- Smith, W. C. (1964). The Meaning and End of Religion. Fortress Press.